المبحث الثاني

الوصل بالأداة

يعد الوصل بالأداة من أبرز وسائل سبك النص ، ولكنه « يختلف في طبيعته عن سائر علاقات التماسك ، كالإحالة والاستبدال والحذف »[1] .

وذلك لأن الوصل « تعيين للطريقة التي يتصل فيها اللاحق بالسابق اتصالاً منتظمًا »[2] .

فإذا كانت إعادة اللفظ Reccurrance والإحالة المشتركة CO-Reference والحذف Ellipsis تحافظ على بقاء مساحات المعلومات فإن الربط يشير إلى العلاقات التي بين المساحات أو بين الأشياء التي في هذه المساحات »[3] .

وعلى الرغم من الأهمية البالغة للوصل فإن الروابط « في عبارات النحو ودراسة الخطاب معًا لم تكد ... تحظى[*] بحقها في الدراسة على وجه سيمانطيقي (دلالي) ومعظم الدراسات المناسبة لها إنما أنجزت في الفلسفة

---

(1) Cohesion in English p. 226.

(٢) دراسة لغوية لصور التماسك النصي في لغتي الجاحظ والزيات، مصطفى صلاح قطب، رسالة دكتوراه ، كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ، ص ١٧٨ .

(٣) النص والخطاب والإجراء ، روبرت دي بوجراند ، ترجمة دكتور تمام حسان ، ص٣٤٦ .

(*) هذا لدى علماء النص الغربيين أما الدرس العربي القديم فقد عني بحروف المعاني عناية بالغة وخصص لها مباحث وكتب مستقلة ، بدأت بالوظيفة النحوية وانتهت بتعدد معاني الحرف الواحد باختلاف السياق الوارد فيه ، ومن هذه الكتب ١- الأزهية في علم الحروف للهروي . ٢- مغني اللبيب لابن هشام . ٣- رصف المباني في شرح حروف المعاني للمالقي ، وانظر ص (١٥-١٨) من هذا المبحث .

والدراسة المنطقية ... وبعبارة أخرى فنحن لم نتعمق في فهم دلالة روابط اللغة الطبيعية بما فيها أدوات الوصل (العطف) ، والظروف (في النحو) »[1] .

ولأن مبحث الربط في الأصل عبارة عن « قرينة لفظية على اتصال المترابطين بالآخر »[2] فإنه يمكن أن يمثل علاقة قبلية أو يمثل علاقة بعدية ، وهذا يتوقف على الأداة المستخدمة والسياق الذي وردت فيه .

ومن ثَمَّ أجد في قول « هاليداي ورقية حسن » شيئًا من المغالاة حينما ذكرا أن الوصل « ليس علاقة قبلية »[3]، فكما أشرت من قبل إلى أن الوصل بالأداة وسيلة للاتصال المنتظم ، وهذا الانتظام يتأتى من علاقة السابق باللاحق أو العكس ، وعلى مدى توفيق المبدع في اختيار أداة الوصل المُعبرة عن غرضه .

أهمية الروابط :

تبرز أهمية أدوات الوصل من حيث كونها:

(أ) معبرة عن « العلاقات بين الأحداث »[4] .

(ب) « تعمل على بناء تراكيب متتالية من الجمل »[5] .

فيصبح النص وكأنه شبكة من العلاقات المترابطة عن طريق الوصل بالأداة أو الوصل دون أداة .

أقسام الوصل بالأداة :

قسم علماء النص الوصل بالأداة إلى عدة أقسام ، وإن اختلفت هذه الأقسام فيما بينها من حيث العموم والخصوص .

---

(١) النص والسياق ، فان دايك ، ترجمة : عبد القادر قنيني ، ص ٢٨ .

(٢) انظر : (أ) اللغة العربية معناها ومبناها ، دكتور تمام حسان، عالم الكتب ، ط الثالثة ، ص٢١٣ .

(ب) الخلاصة النحوية ، دكتور تمام حسان ، عالم الكتب ، ط أولى ، ص ٨٩ .

(3) Cohension in English p.6 .

(٤) النص والسياق ، فان دايك ، ترجمة عبد القادر قنيني ، ص ١٠٣ .

(٥) المرجع السابق ، ص ١٢٨ .

فنجد (فان دايك) على سبيل المثال يقسم الروابط الطبيعية إلى أصناف هي:

أ- الوصل التشريكي .

ب ـ الفصل والتخيير البدلي .

ج ـ المعارضة بالتقابل .

د ـ التعارض (بالاستدراك) .

هـ ـ الشرط .

و ـ العلة والسبب .

ز ـ الغاية .

ح ـ الظروف (الزمانية والمكانية والحالية)» [1] .

أما «روبرت دي بوجراند» فيقسم الربط إلى أربعة أقسام ، فهو وصل :

١- يربط مطلق الجمع Conjunction.

٢- ويربط التخيير Disjunction.

٣- يربط الاستدراك Contra Junction.

٤- التفريع Subordination» [2] .

أما هاليداي ورقية حسن فقد قسما الوصل إلى أربعة أقسام وهي :

١- وصل إضافي Additive Conjuction

٢- وصل عكسي Adversative Conjunction

٣- وصل سببي Causal Conjunction

٤- وصل زمني Temporal Conjunction» [3].

---

(١) النص والسياق ، فان دايك ، ترجمة عبد القادر قنيني ، ص ٨٤ .

(٢) النص والخطاب والإجراء ، روبرت دي بوجراند ، ترجمة دكتور تمام حسان ، ص٣٤٦، ٣٤٧.

(3) Cohesion in English, p 242, 243

وسوف أتناول تقسيم هاليداي ورقية حسن لأقسام الوصل بشيء من التفصيل :

أولاً : الوصل الإضافي

ويتم عن طريق إضافة المعلومات التي توضح وتشرح ما سبقها ويكون ذلك عن طريق :

أ- استخدام حروف العطف مثل : الواو ، ثم ، أو ، الفاء .

ب ــ استخدام علاقة «التماثل الدلالي المتحقق في الربط بين الجمل بواسطة تعبير من نوع : بالمثل ... ، علاقة الشرح وتتم بتعابير مثل : أعني .... ، وعلاقة التمثيل المتجسدة في تعابير مثل : مثلاً ، نحو ....» [(١)] .

ويشير «روبرت دي بوجراند» إلى أن الوصل الإضافي يربط «بين صورتين أو أكثر من صور المعلومات بالجمع بينهما إذ تكونان متحدتين من حيث البيئة أو متشابهتين» [(٢)] .

ثانيًا : الوصل العكسي

ويقصد به تقديم فكرة أو معلومة مضادة تمامًا لما يتوقعه السامع ، ويتم ذلك عن طريق استخدام أدوات مثل : لكن ، بل .

أو بتعبيرات دالة على التناقض نحو : على العكس من ذلك ، ومع ذلك .

ويأتي النظر في الاستدراك Contrajunction في ضوء التعارض Opposition ولكنه كما رأيت أضعف من التخيير في هذا الصدد ، وذلك أن الموقفين أو الحدثين أو أي أمرين آخرين يعدان في ذواتهما غير قابلين أن يجتمع أحدهما بالآخر ولكنهما مع ذلك يوجدان في عالم نصي واحد» [(٣)] .

---

(١) لسانيات النص ، محمد خطابي ، ص ٢٣ .

(٢) النص والخطاب والإجراء ، روبرت دي بوجراند ، ترجمة دكتور تمام حسان ، ص٣٤٦ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٣٤٩ .

ثالثًا : الوصل السببي

وهو الوصل الذي «يمكننا من إدراك العلاقة المنطقية بين جملتين أو أكثر»[1].

أو «العلاقة بين صورتين من صور المعلومات هي علاقة التدرج أي أن تحقق إحداهما يتوقف على حدوث الأخرى»[2].

رابعًا : الوصل الزمني[*]

وهو عبارة عن علاقة بين أطروحتي جملتين متتابعتين زمنيًا ومن أمثلة ذلك:

البارحة ، اليوم ، غدًا ، قبل ، بعد ، حينئذ ، إذ ، إذا .

وعلى الرغم من أهمية الوصل بالأداة فإن «فان دايك يؤكد أن تسلسل العبارات يمكن أن يترابط بدون أن تحصل فائدة الاتساق وفحواه ، أعني أن الربط يجوز أن يكون شرطًا ضروريًا ولكنه ليس كافيًا لقبول الخطاب»[3].

بعد تقرير «فان دايك في كتابه» النص والسياق «أن أدوات الربط لم تحظ بنصيب كاف من الدراسة ، نجد صدى ذلك في تقسيم علماء النص لأدوات الوصل ، إذ إن السمة الغالبة عليها هي العموم ، وأوضح ما يكون ذلك لدى هاليداي ورقية حسن ، لذا آثرت الوقوف على هذا التقسيم - كما سبق وأوضحت - بشيء من التفصيل .

وفي هذا المقام لا ألقى اللوم على علماء النص ولكن أوجه السؤال إلى

---

(١) لسانيات النص ، محمد خطابي ، ص ٢٣ .

(٢) النص والخطاب والإجراء ، روبرت دي بوجراند ، ترجمة دكتور تمام حسان ، ص٣٤٧ .

(*) يدرج روبرت دي بوجراند الوصل الزمني والوصل المكاني تحت قسم التفريع Subordination .

(٣) النص والسياق ، فان دايك ، ترجمة عبد القادر قنيني ، ص ٧٣ .

بعض الباحثين العرب(*)، الذين أخذوا هذه التقسيمات العامة مطبقين إياها على لغتنا العربية ، متغافلين عما بها من خصوصية ، فإن كل أداة للوصل لها معنى خاص بها ، وقد يغير هذا المعنى باختلاف السياق الذي وردت فيه ، وقد فطن إلى هذا قدامى النحويين واللغويين .

إن هؤلاء الباحثين يدرجون حروف العطف ـ رغم خصوصية كل حرف منها ـ تحت الوصل الإضافي ، ويدرجون تحت «الوصل العكسي» (لكن ، وبل) متغافلين عن الفرق بين الإضراب والاستدراك ويدرجون أدوات الشرط والحروف التي تفيد التعليل تحت «الوصل السببي» ، معتمدين في ذلك على التقسيم المنطقي القائل «بأنهما حدثان يتوقف حدوث إحدهما على حدوث الآخر» .

بل إنهم اكتفوا بمرحلة الوصف فقط ، بمعنى أن هذا وصل سببي ، وذلك وصف عكسي دون إبراز دور الأداة في النص ، أو التعليق على سبب اختيار المبدع لها ، وأثر ذلك على الحركة الدلالية للنص .

وبناء على ذلك آثرت الإلمام بتقسيمات علماء النص لأدوات الوصل في الإطار النظري ، ولكنني اعتمدت على كتب حروف المعاني التي صنفها علماء العربية أثناء عملية التحليل ومنها : رصف المباني في شرح حروف المعاني للمالقي : ومغني اللبيب لابن هشام ، ومبحث الفصل والوصل لدى الجرجاني في دلائل الإعجاز .

ويتم ذلك عن طريق اختياري لفقرات مختلفة من الفصل الموسوم بـ(صفاته) في العبقرية(*).

(*) انظر (أ) دراسة لغوية لصور التماسك النصى في لغتي الجاحظ والزيات ، مصطفى صلاح قطب ، رسالة دكتوراه ، كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ، ١٩٩٦ .

(ب) الربط النحوي في كتاب فيض الخاطر لأحمد أمين ، ليلى خميس ، رسالة ماجستير ، كلية الألسن ، جامعة عين شمس ١٩٩٩ .

(*) جدير بالذكر أن العبقرية تعتمد على عنصري الوصف والسرد ، مما دفع العقاد إلى إيثار حروف بعينها لخدمة هذا الغرض .

«نحن على هذا أمام رجل لا كالرجال . رجل عبقري ، أو رجل ممتاز من خاصة الخليقة الذين لا يعدون في الزمن الواحد بأكثر من الآحاد»[1] .

توصل العقاد إلى نتيجة استخلصها من خلال المواقف التي سردها في صفحات سابقة ، وهي أن عمر (رجل لا كالرجال) ، بمعنى أنه ليس من عامتهم ولكنه عبقري ، محاولاً تفصيل مقصده باستخدام (أو) العاطفة للتخيير بين إجمال سابق في قوله (رجل عبقري) وتفصيل وتوضيح لاحق في قوله (رجل ممتاز ...) .

(أنقول رجل قوي ؟ نعم هو رجل قوي لا مراء . وكل عظيم فهو قوي بمعنى من معاني القوة نعلم هذا فنعلم الشيء المهم عنه ، ولكننا بعد هذا لا نعلم شيئًا مهما عن صفاته وأخلاقه لأن الناس من حيث القوة أقوياء وضعفاء أو متوسطون ومنحرفون إلى هنا تارة وإلى هناك تارة أخرى أما من حيث الصفات والأخلاق فهم ألوف وألوف ، وهم في قوتهم أو ضعفهم أنماط لا تحصى من المناقب والعيوب . فهي حالة تدل عليها المناقب والعيوب أو تدل عليها الصفات والأخلاق ، وليست هي بالحالة التي تدلنا على مناقب الإنسان وعيوبه وتهدينا بغيرها إلى صفاته وأخلاقه)»[2].

بعد أن وسم العقاد «عمر» بالعبقرية وبأنه رجل ممتاز ، عاد متسائلاً : هل يمكننا أن نطلق على الرجل العبقري أو الرجل الممتاز أنه رجل قوي ، مستخدمًا (الهمزة) في ذلك ، ودخولها على الفعل المضارع يدل على الشك في الفعل نفسه ، وعلى أن هذا الفعل جاء للدلالة على الحال ، لأننا إن أولنا الفعل بدلالته على الاستقبال لانقلب المعنى إلى الإنكار ، أي لا يصدر منا هذا القول .

(١،٢) عبقرية عمر ، ص ٢٠ .

وليدحض العقاد هذا الشك الظاهر في الاستفهام جاءت الإجابة بـ (نعم) ومؤكدة بقوله (لامراء) .

وتأتي الفاء الداخلة على الخبر لتحمل معنى السببية ، فالقوة تعد سببًا من أسباب العظمة ، ويتكرر دورها في حمل معنى السببية ، إضافة لدورها الأصلي في التعقيب وذلك في الجملة التالية (نعلم هذا فنعلم الشيء المهم عنه) فسبب البحث والتنقيب أننا سنصل إلى صفة بارزة في شخصية عمر وهي (القوة) .

ولكن العقاد يعود مستدركًا هذا الحكم بـ (واو) العطف التي أشربت معنى الاستدراك من (لكن) فيستحيل إلى مناقشة الصفات والمناقب التي شكلت هذه الصفة .

أما الواو في قوله (صفاته وأخلاقه) فهي من قبيل عطف الخاص على العام، أي صفاته المستنبطة من أخلاقه .

ويأتي بعد ذلك الوصل التعليلي لهذا الاستدراك السابق مقسمًا من خلاله الناس إلى شطرين : (أقوياء وضعفاء) ، وقد أتى بحرف العطف (الواو) ليعطف مفرد على مفرد .

وقد ذكر المالقي أن الواو متى عطفت مفرد على مفرد « فإنها تشرك بينهما في اللفظ والمعنى »[1] ، فمن حيث اللفظ فإن كلمة (ضعفاء) تشارك كلمة (أقوياء) في الرفع ، ومن حيث المعنى فهي من قبيل الطباق .

وأيضًا قوله (متوسطون ومنحرفون) فالواو جاءت لتشرك بين الكلمتين من حيث اللفظ في (الرفع) ، ومن حيث المعنى فهو (شبه طباق) .

ولأن « المتكلم يقدم في كلامه الذي هو به أعنى وببيانه أهم استحسانًا

---

(١) رصف المباني في شرح حروف المعاني ، المالقي ، تحقيق دكتور سعيد صالح مصطفى زعيمة ، ط دار ابن خلدون ، ص ٤٤٩ .

لا إيجابًا»[1] ونحن في موطن القوة ، فإن العقاد قدم كلمة (أقوياء) على كلمة (ضعفاء) ، وقدم كلمة (متوسطون) على كلمة (منحرفون) .

وليس هذا فقط بل قدم قوله (أقوياء وضعفاء) على قوله (متوسطون ومنحرفون) لنفس السبب ، وجاء بحرف العطف (أو) لإفادة التقسيم بين أصناف الناس .

وقوله : (تارة إلى هنا وإلى هناك تارة) فجاءت (الواو) لتعطف جملة على جملة من حيث اللفظ ، أما من حيث المعنى فبينهما مقابلة .

وقوله «أما من حيث الصفات ....» .

فجاءت فيه (أما) وهي إلى جانب كونها أداة للتفصيل تحمل معنى (مهما) الشرطية أي (فمهما يكن من شيء فالناس من حيث الأخلاق والصفات ألوف وألوف) ، فدخلت الفاء على جوابها كما تدخل على أجوبة الشرط[*] .

(فإذا قلت إن عمر بن الخطاب رجل قوي فما زدت على أن تقول إنه رجل عبقري أو إنه رجل عظيم) .

جاء هذا التركيب الشرطي بشقيه (جملة الشرط + جملة جواب الشرط المقترنة بالفاء) ليجمل ما ورد في الفقرتين السابقتين ويصل إلى نتيجة وهي:

أنه ما دام عمر رجلاً عبقريًا أو رجلاً عظيمًا فهو رجل قوي ، فقام التركيب الشرطي والفاء الاستئنافية للحديث الوارد في الجمل السابقة إلى ربط الفقرات الثلاث .

أي أن الربط بين الفقرات يمكن أن يتم عن طريق حرف وصل وهو هنا (الفاء الاستئنافية للحديث) ويمكن أن يكون وصلاً ضمنيًا كما حدث بين

---

(١) رصف المباني في شرح حروف المعاني ، المالقي ، ص ٤٥١ .

(*) اكتفيت بتحليل هذا الجزء حيث تتكرر نفس أدوات الربط في الجمل المتبقية .

الفقرة الأولى والثانية ، فالفقرة الثانية تعد تفصيلاً للإجمال الوارد في الفقرة الأولى[1].

(لا تناقض في خلائق عمر بن الخطاب ، ولكن ليس معنى ذلك أنه أيسر فهمًا من المتناقضين ، بل لعله أعضل فهمًا منهم في كثير من الأحوال . فالعظمة على كل حال ليست بالمطلب اليسير لمن يبتغيه ، وليست بالمطلب اليسير لمن ينفذ إلى صميمه ويحتويه .

إنما الأمر الميسور في التعريف بهذا الرجل العظيم أن خلائقه الكبرى كانت بارزة جدًّا لا يسترها حجاب . فما من قارئ ألم بفذلكة صالحة من ترجمته إلا استطاع أن يعلم أن عمر بن الخطاب كان عادلاً ، وكان رحيمًا ، وكان غيورًا ، وكان فطنًا ، وكان وثيق الإيمان عظيم الاستعداد للنخوة الدينية .

فالعدل والرحمة والغيرة والفطنة والإيمان الوثيق صفات مكينة فيه لا تخفى على ناظر ، ويبقى عليه بعد ذلك أن يعلم كيف تتجه هذه الصفات إلى وجهة واحدة ولا تتشعب في اتجاهها طرائق قددًا كما يتفق في صفات بعض العظماء بل يبقى عليه بعد ذلك أن يعلم كيف يتمم بعض الصفات بعضًا حتى كأنها صفة واحدة متصلة الأجزاء متلاحقة الألوان)»[2] .

وقد تأتي الأداة في بداية الفقرة ويمتد معناها عبر جملها المختلفة من بدايتها وحتى نهايتها ومن ذلك :

أن «إنما» تأتي بخبر لا يجهله السامع ولا ينفيه ، فبدأ العقاد بها الفقرة ليدلل على أن أخلاق عمر كانت من الظهور بمكان ، وغير خافية على أحد ، فظهر معنى ذلك في قوله (كانت بارزة جدًّا) وفي قوله (لا يسترها حجاب)، ثم بدأ في تعديد هذه الصفات مستخدمًا «واو» العطف التي توحي في هذا

---

(١) عبقرية عمر ، ص ٢٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢١ .

الموضع بتدافع هذه الصفات وتنافسها في الظهور كصفات أصلية في شخصية عمر .

ولكن واو العطف لم ترد في الجملة الأخيرة (عظيم الاستعداد للنخوة الدينية) على الرغم من كونها جملة غير مستأنفة .

ولكن سياق النص ودلالة الجملة تظهر أنها إجمال لجملة الفضائل السابقة ، فمَنْ يتمتع بالنخوة الدينية نجده يتسم بالعدل والرحمة والغيرة والفطنة والإيمان الوثيق ، وهذا ما يؤكده قول العقاد في ختام الفقرة التالية :

(بل يبقى عليه بعد ذلك أن يعلم كيف يتمم بعض هذه الصفات بعضًا حتى كأنها صفة واحدة متصلة الأجزاء متلاحقة الألوان)»[1].

* * *

(١) عبقرية عمر ، ص ٢١ .